

# أفتقدك..

بقلم: هديل المزيدي

مستقلية وقد غطتها شراشف حزن بيضاء اللون في غرفة زرقاء صارت مع الأيام ضيقة وكئيبة، لا ترى إلا وجوه لدمى رمادية قد نثرت على أرض ساكنه.. يابسة.. لا حياة فيها ولا صوت.

يغلفها بحر من الحرقه.. وأنين.. مشاعر مٌزجت بين فرحة اللقاء الأول وبين حزن الفراق أحاطت هذه المشاعر عالمها الذي لم يعد له أي طعم.. لم يعد الأمر كما كان، تمر عليها لحظات قاسية وطويلة.. وكأن الوقت قد توقف بتوقف دقات قلب كان ينبض بهجة الحياة، فلم يعد للاستمرار أي معنى أو قيمة.. فقدت الرغبة في العيش بعد أن فقدت عزيز توفي في يوم ميلاده الأول، أنه ولدها الغالي الذي أحزن محبيه برحيله بعد أن طال انتظاره فوق العشر سنوات بمحاولات أشرف على متابعتها أطباء من كل مستشفى وميدان، فرحت بعد أن بُشّرت به كطفلها الأول الذي أضفى لون جديد وروح على حياتها وحياة من حولها بجمال ملامحه وعفوية كلماته الأولى البسيطة.

وهي ساكنه في مكانها وقد غلفت جسدها برائحة شراشف سريه تسترجع ذكريات عام واحد مضت.. ولادته.. رائحة جلده.. عينيه البنيتين.. يديه الدافئتين.. قدميه الصغيرتين.. كل زاوية في المنزل لها حكاية معه، وكل حائط يحمل صورة تسرد مراحل طفولته.. أول ضحكة.. أول خطوة.. أول سن.. فلم تعد تدري أتضحك عندما تتذكر شقاوته أم تبكي من ما تبقى من أثره.

يجهل من حولها إن كانت بالفعل حاضرة معهم أم مع طيفه سارحة الذهن، تسهر الليل في غرفته الصغيرة، عالم صنعه بنفسها على مر مراحل نموه في رحمها كانت تهيئ له مكان يتناسب مع غلاته، فاخترت أن يكون عالمه الأزرق الهادئ ووفرت له سبل الراحة وكل ما يتمنى أي طفل، إلا أن فرحتها لم تدم طويلا فقد أصيب بمرض أهلك جسده الضعيف ففارق الحياة سريعا وفجأة تاركا والدته تُمسي بين ثيابه الباردة تشم ما تبقى من أثر عطر جسده الطاهر، تقضي ليلها في محيطه الذي بات سراب حتى ينتابها التعب من التفكير والبكاء، تفكر وبعمق متسائلة.. هل قصرت في حقه..؟ ربما أخطأت.. كان علي أن أتوخى الحذر أكثر.. ليتني أمضيت معه ساعات أطول.. ليتني اشترت له ألعاب أكثر.. ليتني التقطت له صوراً فوتوغرافية أكثر.. لماذا لم أقضي معه وقت أطول.. أغمضت عينيه فنزلت على خديها دموع دافئة صاحبها ألم في أعماق صدرها وشعور ثقيل أمسى كالغيمة السوداء عليها.

باتت تحدث نفسها: ماذا حدث فجأة! لم تهأنني حتى! أين رحلت انتظر لحظة بعدي لم أعلمك أمور كنت أحلم أن تتعلمها على يدي، لم يسعفني الوقت أن أساعدك كي تمسك بيدك الجميلتين كوب الحليب الصغير الذي اشتريته لك قبل ولادتك تحمله لتشرب لوحدهك بعد أن بدأت تخطو خطواتك الأولى، انتظر إلى أين أنت ذاهب..؟ كنت أرغب في أن أسمع آيات تتلى على لسانك، كنت أحلم بصورة معك وأنت ترتدي قبعة التخرج بين زملائك، كنت أرسم صورتك وأنت في العشرين.. انتظر إلى أين تذهب وتركني لوحدي في عالم لم يعد عالمي فلا حياة دونك، أنت دفئي وأغلى قطعة خرجت مني، ولدي ما عسى أيامي القادمة تكون..؟ لا أستطيع تصور لونها ولا حتى طعمها لم أعد أرى النور فقد كنت ملاكي والانسان الصغير الذي يضفي الحياة والسعادة لأيامي اعتدت على سماع دقات قلبك الصغير لا أستطيع تخيلك بعيدا عني بدأت أنسى ملامح وجهك الجميل، ارجع ووسخ ملابسك عدة مرات فلا أبالي.. إلب بلبعتك المزجة فلم أعد أهتم.. فقط ارجع أرجوك.. سأتحمل بكائك الليل كله، سأعُد وجبتك وأطعمك بنفسي سأهتم بك وأمنحك حب أكبر، ارجع.. أفتقدك كثيرا وأحبك أكثر.. الآن وقد رحلت إلى عالم آخر أرجو أن ألقاك طير ترفرف في الجنان لأسعد بالنظر لنور وجهك من جديد إلى أن ألقاك مجددا ما عساي أن أفعل غير أن أتخذ الصبر رداً وأردد قدر الله وما شاء فعل.

\*مستوحاه من قصة حقيقية، أهديها لصاحبة السطور «زينب - لبنان».

